(سورة فصلت)

{ حـم }

{ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ }

{ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }

{ بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ }

{ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ }

{ حـم } ظهور الحق بالصورة المحمدية { تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب } الكل الجامع لجميع الحقائق من الذات الأحدية الموصوفة بالرحمة الرحمانية العامّة للكل، بإفاضة الوجود والكمال عليه، والرحيمية الخاصة بالأولياء المحمديين، المستعدّين لقبول الكمال الخاص العرفاني، والتوحيد الذاتيّ. وهو كتاب العقل الفرقاني الذي { فُصلت آياته } بالتنزيل بعد ما أجملت قبل في عين الجمع حال كونه { قُرْآناً } أي: فُصّلت بحسب ظهور الصفات وحدوث الاستعدادات في حال كونه جامعاً للكل { عَرَبِيّاً } لوجود نشأته في العرب { لِقَومٍ يعلمون } حقائق آياته لقرب استعداداتهم منه وصفاء فطرهم

{ بَشِيراً } للقابلين المستعدّين للكمال، المستبصرين بنوره باللقاء { نذِيراً } للمحجوبين بظلمات نفوسهم من العقاب { فأعرض أكثرهم } لاحتجابهم بالأغيار وبقائهم في ظلمات الاستتار { فهم لا يسمعون }

كلام الحق لوقر سمع القلب كما قالوا:

{ قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر } لأنّ غشاوات الطبيعة وحجب صفات النفوس أعمَتْ أبصار قلوبهم وأصمّت آذانها وجعلتها في أغطية وأكِنّة وحجبت بينهم وبينه.

{ قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ فَٱسْتَقِيمُواْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ }

{ ٱلَّذِينَ لاَ يُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَهُمْ بِٱلآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ }
{ إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ }

{ قُلْ إِنَّما بشر مثلكم } أي: إني من جنسكم وأناسبكم في البشرية والمماثلة النوعية، لتوجهه للإنس والخلطة، وأباينكم بالوحي المنبه على التوحيد المبيِّن لطريق السلوك، فاتصلوا بي بالمناسبة النوعية والمجانسة البشرية لتهتدوا بنور التوحيد والوحي المفيد لبيان الدين، وتسلكوا سبيل الحق الذي عرّفنيه بقوله: { أنما إلهكم إله واحد } لا شريك له في الوجود { فاستقيموا } بالثبات على الإيمان والسكينة والإيقان في التوجه { إليه } من غير انحراف إلى الباطل والطرق المتفرّقة ولا زيغ بالالتفات إلى الغير والميل إلى النفس { واستغفروه } بالتنصل عن الهيئات المادية والتجرّد عن الصفات البشرية ليستر بنور صفاته ذنوب صفاتكم { وويلٌ } للمحتجبين بالغير { الذين } لا يزّكون أنفسهم بمحو صفاتها ليرتفع حجاب الغيرية فتتحقق بالوحدة { وهم بالآخرة هم كافرون } لسترهم النور الفطري المقتضي الشوق إلى عالم القدس ومعدن الحياة الأبدية بظلمات الحسّ وهيئات الطبيعة البدنية.

{ قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ }
{ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ }
{ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ }

{ قُلْ أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين } أي: في حادثين كما ذكر أنّ اليوم معبّر به عن الحادث لنسبته إليه في قولهم: الحوادث اليومية لتشابهها في الظهور والخفاء، وهما الصورة والمادّة { وبارك فيها } أي: أكْثَرَ خيرها { وقدَّر فيها } معايشها وأرزاقها { في أربعة أيام } هي الكيفيات الأربع والعناصر الأربعة التي خلق منها المركبات بالتركيب والتعديل { سواء } مستوية بالامتزاج

والاعتدال للطالبين للأقوات والمعايش، أي: قدّرها لهم { ثم استوى إلى السماء } أي:قصد إلى إيجادها وثم للتفاوت بين الخلقين في الإحكام وعدمه، واختلافهما في الجهة والجوهر لا للتراخي في الزمان إذ لا زمان هناك { وهي دخان }

أي: جوهر لطيف بخلاف الجواهر الكثيفة الثقيلة الأرضية

{ فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً } أي: تعلق أمره وإرادته بإيجادهما فوجدتا في الحال معاً كالمأمور المطيع إذ ورد عليه أمر الآمر المطاع لم يلبث في امتثاله، وهو من باب التمثيل إذ لا قول ثمة.

{ فَقَضَٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظاً ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ }

{ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ }

{ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ ٱللَّهَ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لأَنزَلَ مَلاَئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ }

{ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي ٱلأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُواْ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ }

{ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لاَ يُنصَرُونَ }

{ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ }

{ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ }

{ فقضاهن سبع سموات في يومين } أي: المادة والصورة كالأرض { وأوحى في كل سماء أمرها } أي: أشار إليها بما أراد من حركتها وتأثيرات ملكوتها وتدبيراتها وخواص كوكبها وكل ما يتعلق بها.

{ وزينا السماء الدنيا } أي: السطح الذي يلينا من فلك القمر { بمصابيح } الشهب { و } حفظناها { حفظاً } من أن تخرق بصعود البخارات إليها ووصول القوى

الطبيعية الشيطانية إلى ملائكتها { ذلك تقدير العزيز } الغالب على أمره كيف يشاء { العليم } الذي أتقن صنعه بعلمه، أو أئنكم لتكفرون وتحتجبون بالغواشي البدنية عن الذي خلق أرض البدن وجعلها حجاب وجهه في يومين أي شهرين أو حادثين مادة وصورة، وتجعلون له أنداداً بوقوفكم مع الغير ونسبتكم التأثير إلى ما لا وجود له ولا أثر، ذلك الخالق هو الذي يربّ العالمين بأسمائه وجعل فيها رواسي الأعضاء من فوقها أو رواسي الطبائع الموجبة للميل السفلي من القوى العنصرية والصور الماديّة التي تقتضي ثباتها على حالها، وبارك فيها بتهيئة الآلات والأسباب والمزاجات والقوى التي تتم بها لمقته وأفعاله وقدّر فيها أقواتها بتدبير الغاذية وأعوانها وتقدير مجاري الغذاء وأمور التغذية وأسبابها وموادّها في تتمة أربعة أشهر، أي: جميع ذلك في أربعة أشهر سواء متساوية أو في مواد العناصر الأربعة، ثم استوى أي: بعد ذلك قصد قصداً مستوياً من غير أن يلوي إلى شيء آخر، إلى سماء الروح وتسويتها وهي دخان أي: مادة لطيفة من بخارية الأخلاط ولطافتها مرتفعة من القلب. وقد جاء في الحديث:

« إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمّه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكاً بأربع كلمات، فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقيّ أم سعيد، ثم ينفخ فيه الروح «

ويعضده حديث آخر في أنّ نفخ الروح في الجنين يكون بعد أربعة أشهر من وقت الحمل فقال لها ولأرض البدن: ائتيا، أي: تعلقت إرادته بتكوينهما وصيرورتهما شيئاً واحداً وخلقاً جديداً، فتكونا على ما أراد من الصورة وهذا معنى خلوّ الأرض قبل السماء غير مدحوّة ودحوها بعده. فإن المادة البدنية وإن تخلقت بدناً قبل اتصال الروح وانتفاخه فيها لكن الأعضاء لم تنبسط ولم ينفتق بعضها من بعض إلا بعده، فقضاهنّ سبع سموات، أي: الغيوب السبعة المذكورة من القوى والنفس والقلب والسرّ والروح والخفاء، والحق الذي أدرج هويته في هوية الشخص الموجود وتنزل بإيجاده في هذه المراتب واحتجب بها وإن جعلت السبعة من المخلوقات حتى تخرج الهوية من جملتها فإحداها وهي الرابعة بين القلب، والسرّ العقل، وهي السماء الدنيا باعتبار دنوّها من

القلب الذي به الإنسان إنساناً في يومين في شهرين آخرين، فتمّ مدة الحمل ستة أشهر أو مدة خلق الإنسان، ولهذا إذا ولد بعد تمام الستة على رأس الشهر السابع عاش مستوي الخلق أو في طورين مجرّدة وغير مجرّدة أو حادثين روح وجسد والله أعلم.

{ وأوحى في كل سماء } من الطبقات المذكورة { أمرها } وشأنها المخصوص بها من الأعمال والإدراكات والمكاشفات والمشاهدات والمواصلات والمناغيات والتجليات. { وزيّنا السماء الدُّنيا } أي العقل بمصابيح الحجج والبراهين { وحفظناها } من استراق شياطين الوهم والخيال، كلام الملأ الأعلى من الروحانيات بالترقي إلى الأفق العقلي واستفادة الصور القياسية لترويج أكاذيبها وتخيلاتها بها.

{ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ }

{ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ

سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }

{ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُواْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِي أَنطَقَ كُلَّ

شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ }

{ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ

وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ }

{ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِّنَ ٱلْخَاسِرِينَ }

{ فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ }

{ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ

ٱلْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمْ مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَاسِرِينَ }

{ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لاَ تَسْمَعُواْ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْآنِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ }

{ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَاباً شَدِيداً

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعْمَلُونَ }

{ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ الخُلۡدِ
جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجۡحَدُونَ }
{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا
تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ }

{ حتى إذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم } أي: غيّرت صور أعضائهم وصوّرت أشكالها على هيئة الأعمال التي ارتكبوها، وبدّلت جلودهم وأبشارهم، فتنطق بلسان الحال، وتدل بالأشكال على ما كانوا يعملون.

ولنطقها بهذا اللسان قالت: { أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء } إذ لا يخلو شيء ما من النطق، ولكنّ الغافلين لا يفهمون { وقضينا لهم قرناء } أي: قدّرنا لهم أخداناً وأقراناً من شياطين الإنس والجنّ من الوهم والتخيل لتباعدهم من الملأ الأعلى، ومخالفتهم بالذات للنفوس القدسية والأنوار الملكوتية بانغماسهم في الموادّ الهيولانية، واحتجابهم بالصفات النفسانية، وانجذابهم إلى الأهواء البدنية والشهوات الطبيعية، فناسبوا النفوس الأرضية الخبيثة، والكدرة المظلمة، وخالفوا الجواهر القدسية والذاوت المجرّدة، فجعلت الشياطين أقرانهم وحجبوا عن نور الملكوت { فزينوا لهم ما بين أيديهم } ما بحضرتهم من اللذات البهيمية والسبعية والشهوات الطبيعية { وما خلفهم } من الآمال والأماني التي لا يدركونها

{ وحَقَّ عليهم القول } في القضاء الإلهيّ بالشقاء الأبديّ كائنين

{ فِي أُمم قد خلت من قبلهم من } المكذبين بالأنبياء والمحجوبين عن الحق من الباطنيين والظاهريين{ إِنَّهُم كانُوا خَاسِرِينَ } لخسرانهم نور الاستعداد الأصلي، وربح الكمال الكسبي، ووقوعهم في الهلاك الأبديّ والعذاب السرمديّ.

{ ربنا أرنا الذين أضلانا } أي: حنق المحجوبين واغتاظوا على من أضلّهم من الفريقين عند وقوع العذاب وتمنوا أن يكونوا في أشدّ من عذابهم وأسفل من دركاتهم لما لقوا من الهوان وألم النيران وعذاب الحرمان والخسران بسببهم وأرادوا أن يشفوا صدورهم برؤيتهم في أسوأ أحوالهم وأنزل مراتبهم، كما ترى من وقع في البليّة بسبب رفيق أشار إليه بما أوقعه فيها يتجرّد عليه ويتغيظ ويكاد أن يقع فيه مع غيبته ويتحرّق.

{ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُواْ وَلاَ تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ }

{ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ }

{ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ }

{ إن الذين قالوا ربنا الله } أي: وحدوه بنفي غيره وعرفوه بالإيقان حق معرفته { ثم استقاموا } إليه بالسلوك في طريقه والثابت على صراطه مخلصين لأعمالهم عاملين لوجهه، غير ملتفتين بها إلى غيره { تتنزّل عليهم الملائكة } للمناسبة الحقيقية بينهم في التوحيد الحقيقي والإيمان اليقيني والعمل الثابت على منهاج الحق والاستقامة في الطريقة إليه، غير ناكثين في عزيمة ولا منحرفين عن وجهه ولا زائغين في عمل كما ناسبت نفوس المحجوبين من أهل الرذائل الشياطين بالجواهر المظلمة والأعمال الخبيثة لتنزّلت عليهم { ألاَّ تخافوا } من العقاب لتنوّر ذواتكم بالأنوار وتجرّدها عن غواسق الهيئات { ولا تَحْزنوا } بفوات كمالاتكم التي اقتضاها استعدادكم { وأبشروا } بجنّة الصفات { التي كنتم تُوعدون } حال الإيمان بالغيب أو قالوا: { ربنا الله } بالفناء فيه ثم استقاموا به بالبقاء بعد الفناء عند التمكين { تتنزَّل عليهم الملائكة } للتعظيم عند الرجوع إلى التفصيل، إذ في حال الفناء لا وجود للملائكة ولا لغيرهم، { ألاَّ تخافوا } من التلوين

{ ولا تحزنوا } على الاستغراق في التوحيد، فإن أهل الوحدة إذا ردّوا إلى التفصيل ورؤية الكثرة غلب عليهم الحزن والوجد في أول الوهلة لفوات الشهود الذاتي في عين الجمع والاحتجاب بالتفصيل حتى يتمكنوا في التحقق بالحق حال البقاء وانشراح الصدر بنور الحق فلا تحجبهم الكثرة عن الوحدة ولا الوحدة عن الكثرة، شاهدين في تفاصيل الصفات عين الذات بالذات، كما قال تعالى لنبيه عليه السلام في هذه الحال:

{ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ٱلَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ }

[الشرح، الآيات:١ - ٣] وأبشروا بجنّة الذات الشاملة لجميع مراتب الجنان التي كنتم توعدونها في مقام تجلّيات الصفات.

{ نحن أولياؤكم } وأحباؤكم في الدارين للمناسبة الوصفية والجنسية الأصلية بيننا وبينكم، كما أن الشياطين أولياء المحجوبين لما بينهم من الجنسية والمشاركة في الظلمة والكدورة { ولكم فيها ما تَشْتهي أنفُسكم } من المشاهدات والتجليات والروح والريحان والنعيم المقيم أي: إذا بلغتم الكمال الذي هو مقتضى استعدادكم فلا شوق لكم إلى ما غاب عنكم، بل كل ما تشتهون وتتمنون فهو مع الاشتهاء والتمني حاضر لكم في الجنان الثلاث { نزلاً } معدّاً لكم { من غفور } ستر لكم بنوره ذنوب آثاركم وأفعالكم وصفاتكم وذواتكم { رَحِيم } رحمكم بتجليّات أفعاله وصفاته وذاته وإبدالكم بها إياها.

{ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ }

{ وَلاَ تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلاَ ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ }

{ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ }

{ ومَن أحْسن قولاً } أي: حالاً إذ كثيراً ما يستعمل القول بمعنى الفعل والحال ومنه، قالوا: { ربنا الله } أي: جعلوا دينهم التوحيد، ومنه الحديث:

« هلك المكثرون إلا من قال هكذا وهكذا... « أي: اعطى.

{ ممن دَعَا إلى الله وعَمِل صالحاً وقال إنني من المُسْلمين } أي: ممن أسلم وجهه إلى الله في التوحيد وعمل بالاستقامة والتمكين، ودعا الخلق إلى الحق للتكميل، فقدّم الدعوة إلى الحق والتكميل لكونه أشرف المراتب ولاستلزامه الكمال العلمي والعملي، وإلا لما صحت الدعوة وإن صحت ما كانت إلى الله،

أي: إلى ذاته الموصوفة بجميع الصفات، فإن العالم الغير العامل إن دعا كانت دعوته إلى العليم، والعامل الغير العالم إلى الغفور الرحيم، والعالم العامل والعارف الكامل صحّت دعوته إلى الله .

{ ولا تستوي الحَسَنة ولا السيئة } لكون الأولى من مقام القلب تجرّ صاحبها إلى الجنّة ومصاحبة الملائكة، والثانية من مقام النفس تجرّ صاحبها إلى النار ومقارنة

الشياطين { ادْفع بالتي هي أحْسَن } إذا أمكنك دفع السيئة من عدوّك بالحسنة التي هي أحسن، فلا تدفعها بالحسنة التي دونها، فكيف بالسيئة؟!،
فإن السيئة لا تندفع بالسيئة بل تزيد وتعلو ارتفاع النار بالحطب، فإن قابلتها بمثلها كنت منحطاً إلى مقام النفس، متّبعاً للشيطان، سالكاً طريق النار، ملقياً لصاحبك في الأوزار وجاعلاً له ولنفسك من جملة الأشرار، متسبباً لازدياد الشرّ معرضاً عن الخير.
وإن دفعتها بالحسنة سكنت شرارته وأزلت عداوته وتثبت في مقام القلب على الخير، وهديت إلى الجنة وطردت الشيطان، وأرضيت الرحمن وانخرطت في سلك الملكوت ومحوت ذنب صاحبك بالندامة. وإن دفعتها بالتي هي أحسن ناسبت الحضرة الرحيمية بالرحموت وصرت باتصافك بصفاته تعالى من أهل الجبروت وأفضت من ذاتك فيض الرحمة على صاحبك فصار
{ كأنه وليّ حميم } ولأمر ما قال النبي عليه السلام:

« لو جاز أن يظهر البارىء لظهر بصورة الحلم »

، ولا يلقي هذه الخصلة الشريفة والفضيلة العظيمة { إلاَّ الذين صَبروا } مع الله، فلم يتغيروا بزلّة الأعداء لرؤيتهم منه تعالى وتوكلهم عليه واتّصافهم بحلمه أو طاعتهم لأمره { وما يلقاها إلاَّ ذو حظ عظيم } من الله بالتخلّق بأخلاقه.

{ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ }
{ وَمِنْ آيَاتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ }
{ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لاَ يَسْئَمُونَ }
{ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى ٱلأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }

{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لاَ يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِناً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }

{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ }

{ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ نَزْغٌ } ينخسنك نخس بالمقابلة بالسيئة وداعية بالانتقام وهيجان من غضبك { فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ } بالرجوع إلى جنابه واللجوء إلى حضرته من شرّه ووسوسته ونزغه بالبراءة عن أفعالك وصفاتك والفناء فيه عن حولك وقوّتك { إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ } لما هجس ببالك من أحاديث نفسك وأقوالك { ٱلْعَلِيمُ } بنياتك وما بطن من أحوالك. { وَمِنْ آيَاتِهِ } ليل ظلمة النفس بظهور صفاتها الساترة للنور لتقعوا في السيئات وتستعدّوا لقبول الوساوس الشيطانية ونهار نور الروح بإشراق أشعتها من القلب إلى النفس، فتباشروا الحسنات وتدفعوا السيئات بها وتمتنعوا عن قبول الوساوس وتتعرّضوا للنفحات وشمس الروح وقمر القلب { لاَ تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ } بالفناء فيه والوقوف معه والاحتجاب به عن الحق { وَلاَ لِلْقَمَرِ } بالوقوف مع الفضائل والكمالات والنبوّ إلى جنّة الصفات { وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ } بالفناء في الذات { إِن كُنتُمْ } موحدين، مخصصين العبودية به دون غيره لا مشركين ولا محجوبين

{ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ } عن الفناء فيه بظهور الأنائية والطغيان والاستعلاء بصفات النفس والعدوان { فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ } من السابقين الفانين فيه

{ يُسَبِّحُونَ لَهُ } بالتجريد والتنزيه عن حجب ذواتهم وصفاتهم دائماً بليل الاستتار في مقام التفصيل ونهار التجلي في مقام الجمع

{ لاَ يَسْأَمُونَ } لكونهم قائمين بالله ذاكرين بالمحبة الذاتية.

{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا }

أي: يميلون ويزيغون فيها من طريق الحق إلى الباطل فينسبونها إلى غير الحق لاحتجابهم عنه ويتلونها بأنفسهم فيفهمون منها ما يناسب صفاتهم

{ لاَ يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ } وإن خفينا عنهم { وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ } منيع محميّ عن أن يمسّه وتفهمه النفوس الخبيثة المحجوبة فتغيره ويطلع عليه المبطلة فتبطله لبعده عن مبالغ عقولهم.

{ لاَّ يَأْتِيهِ ٱلْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ }
{ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ
إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ }
{ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَّقَالُواْ لَوْلاَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَاعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ
قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ
وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَـئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ }
{ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ
لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ }
{ مَّنْ عَمِلَ صَـٰلِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ }
{ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلاَ تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآئِي
قَالُواْ آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ }
{ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّواْ مَا لَهُمْ مِّن مَّحِيصٍ }
{ لاَّ يَسْأَمُ ٱلإِنْسَانُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ }
{ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِي
وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ
فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ }
{ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ
وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ } { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ
ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ }
{ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي ٱلآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ
أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }

{ أَلاَ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ أَلاَ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ }

وما اعتقدوه من باطلهم إذ { لا يأتيه الباطل من } جهة من الجهات لا من جهة الحق فيبطله بما هو أبلغ منه وأشدّ إحكاماً في كونه حقاً وصدقاً ولا من جهة الخلق فيبطلونه بالإلحاد في تأويله ويغيِّرونه بالتحريف لكونه ثابتاً في اللوح محفوظاً من جهة الحق، كما قال تعالى:

{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }[الحجر، الآية:٩].

{ قُلْ هو للذين آمنُوا هُدىً وشفاء } أي: هو للمؤمنين بالغيب هداية تهديهم إلى الحق وتبصرهم بالمعرفة وشفاء يزيل أمراض قلوبهم من الرذائل كالنفاق والشك أي: تبصرهم بطريق النظر والعمل فتعلمهم وتزكيهم { والذين لا يؤمنُون } من المحجوبين لا يسمعونه ولا يفهمونه بل يشتبه عليهم ويلتبس لاستيلاء الغفلة عليهم وسدّ الغشاوات الطبيعية والهيئات البدنية طرق أسماع قلوبهم وأبصارهم فلا ينفذ فيها ولا يتنبهوا بها ولا يتيقظوا كالذي ينادي من مكان بعيد لبعدهم عن منبع النور الذي يدرك به الحق ويرى، وانهماكهم في ظلمات الهيولى.

{ سنُريهم آياتنا في الآفَاقِ وفي أنْفسهم } أي: نوفقهم للنظر في تصاريفنا للممكنات وأحوالها { حتى يَتَبيَّن لهم } بطريق الاستدلال واليقين البرهاني { أنه الحق أو لم يكفِّ بربك } للذين شاهدوه من أهل العيان { أنَّه على كل شيء شهيد } حاضر مطلع، أي: لم يكف شهوده على مظاهر الأشياء في معرفته وكونه الحق الثابت دون غيره حتى تحتاج إلى الاستدلال بأفعاله أو التوسل بتجليات صفاته وهذا هو حال المحبوب المكاشف بالجذب قبل السلوك، والأول حال المحبّ السالك المجاهد لطلب الوصول { ألا إنهم في مرية من لِقَاء ربّهم } لاحتجابهم بالكون عن المكوِّن والمخلوق عن الخالق { ألا إنه بكل شيء محيط } لا يخرج عن إحاطته شيء وإلا لم يوجد، إذ حقيقة كل شيء عين علمه تعالى ووجوده به، وعلمه عين ذاته وذاته عين وجوده، فلا يخرج شيء عن إحاطته إذ لا وجود لغيره ولا عين ولا ذات

{ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ } [القصص، الآية:٨٨] كما قال تعالى:

{ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَالِ وَٱلإِكْرَامِ }

[الرحمن، الآيات:٢٦ - ٢٧].